دراسة حول قول المفسر أبي الحسن البكري بـ

استثناء أهل حضرموت

من الورود في النار

في الآية: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

بقلم

طارق محمد سكلوع العمودي

ماجستير في السنة المشرفة وعلومها



دراسة حول قول المفسر أبي الحسن البكري بـ

استثناء أهل حضرموت من الورود في النار

في الآية: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾

بقلم

طارق محمد سكلوع العمودي

ماجستير في السنة المشرفة وعلومها

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

ⓗ دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: **17812/ 2020**

الترقيم الدولي: 7-1-85776-977-978

الكتاب: استثناء أهل حضرموت من الورود في النار

المؤلف: طارق محمد سكلوع العمودي

القياس: 14 × 21 سم

الصفحات: 96 ص

الطبعة الأولى

1442هـ - 2020م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى الآل والأصحاب.. وبعد:

فقد استرعى انتباهي ما ذكره المؤرخ الحضرمي العلامة عبد القادر بن شيخ العيدروس (ت ١٠٣٨هـ) في كتابه الشهير: «النور السافر عن أخبار القرن العاشر»، (ص ١١٨، الطبعة المحققة عن دار صادر ببيروت)؛ حيث قال: (**وكفى حضرموت من الشرف العظيم، والمجد الفخيم، والفخر الذي لا يبلى ويبيد؛ بل ينمو ويزيد؛ أنَّ الإمام شيخ الإسلام مجتهد زمانه الشيخ أبا الحسن البكري الصدّيقي ذكر في تفسيره عند قوله تعالى:** ﴿وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُهَا﴾ **الآية**[1]..: **يُستثنى من ذلك أهل حضرموت؛ لأنهم أهل ضنك في المعيشة**) أهـ.

قلت: ونقل مثل ذلك عن أبي الحسن البكري العلامة اللغوي المحدث محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)

---

(١) سورة مريم: ٧١، وتمام الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

في كتابه القيم: «تاج العروس من جواهر القاموس»، (٣/ ١٤٨)، وعبارته: (... **لأنهم أهل ضنك وشدة، وهي تنبت الأولياء كما تنبت البقل، وأهلها أهل رياضة، وبها نخل كثير، وأغلب قوتهم التمر**).

فأحببت بعد التوكل على الله -عز وجل- أن أكتب في ذلك؛ بما يفتح به الله تعالى عليَّ.. راجيًا التوفيق والسداد فيما يجول به قلمي.

ولا شك أنَّ الكتابة في مثل ما نحن فيه تعتمد على الزاوية التي ننظر منها لتقييم وتحليل ودراسة تفسير الشيخ للآية الكريمة بذلك الاستثناء الذي سيستغربه الكثير؛ فإن كانت الزاوية تعتمد على النص النقلي (السمعي) لهذا الاستثناء في حق أهل حضرموت من ورودهم النار؛ فمعناه أن نقف هنا ولا داعي لأن نسطّر الأسطر في هذه المسألة؛ لأجل أنه لا يوجد نص في هذا الاستثناء من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه المصطفى عليه صلوات ربي وسلامه. والشيخ البكري أول من يعلم ذلك يقينًا، والدليل على ذلك تبريره لهذا الاستثناء بقوله أنهم -أي أهل حضرموت- أهل ضنك. وشدة في معيشتهم؛ فلو وُجِدَ النص لما احتاج إلى التبرير، والله أعلم.

إنما نظرتنا ستكون من زاوية أخرى مبنية على الدراسة والتحليل، والتعمق في الأسباب، والإلزامات، وطرح التساؤلات الداعية لهذا الاستثناء من قبل الشيخ في حق أهل حضرموت من خلال الآية الكريمة.

والعناوين التي سنطرحها في بحثنا هذا، ومن خلالها تكون دراستنا.. هي على النحو التالي:

* ترجمة الشيخ أبي الحسن البكري.. لنقف على علم الرجل، ووزنه، وعلمه.
* تصانيف أبي الحسن البكري في التفسير.. لمعرفة مكانة الشيخ بين علماء التفسير.
* أقوال المفسرين في الآية الكريمة.. وهذا أمر بديهي لابد منه.
* وصف أهل حضرموت بأنهم أهل شدة وضنك في معيشتهم.
* تخريج قول أبي الحسن البكري على ضوء أقوال المفسرين للآية.
* وماذا بعد؟
* المرتكزات التي ارتكز عليها أبو الحسن البكري في استثنائه لأهل حضرموت من الورود، وهي: التقاؤه بالحضارمة واحتكاكه بهم عن قرب، التصوف، النظر.

❋ آية في كتاب الله وربطها بمقولة استثناء أبي الحسن البكري.

❋ موقف المؤرخين الحضارمة من قول أبي الحسن البكري.

❋ الختام، وفيه نقولات في أثر الآية الكريمة على واقع سلفنا الصالح.

هذا ومن الله نستمد التوفيق..

طارق محمد صالح سكلوع العمودي

الدمام / السعودية (رجب ١٤٢٨هـ)

ترجمة أبي الحسن البكري

ترجمة أبي الحسن البكري

هـو القـدوة الإمـام شـيخ الإسـلام، مجتهـد زمانـه، وعَلَـم الأعـلام أبـو الحسـن البكـري محمـد بـن محمـد بـن جـلال الديـن عبـد الرحمـن بـن أحمـد بـن محمـد بـن أحمـد بـن محمـد بـن عـوض بـن عبـد الخالـق بـن عبـد المنعـم بـن يحيَـى بـن يعقـوب بـن نجـم الديـن بـن عيسـى بـن داود بـن نـوح بـن طلحـة بـن عبـد الله بـن عبـد الرحمـن بـن الصدّيـق الأكـبر خليفـة رسـول الله ﷺ أبي بكـر رضي الله عنــه.

مفسر، متصـوف، مـصري، مـن علـماء الشـافعية، مولـده ووفاته بالقاهـرة. كان يقيـم بمـصر عامًـا، وعامًـا بمكـة. ويقـال: إنـه أول مـن حـج مـن علـماء مـصر في محفّـة؛ ثـم تبعـه النـاس في ذلـك.

أخـذ العلـم عن جماعـة من مشـايخ الإسـلام والتصـوف، وتبحر في علـوم الشريعـة مـن فقـه، وتفسـير، وحديـث، وغـير ذلـك. وكان إذا تكلـم في علـم منهـا كأنـه بحـرٌ زاخـرٌ؛ لا يـكاد السـامع يسـتطيع أن ينقـل منـه شـيئًا لوسـعه إلا أن يكتبـه، وقـد شـاع ذكـره في أقطـار الأرض مـع صغـر سـنه، وقـد بلـغ رتبـة الاجتهـاد، وكان لا يُعطـي أحـدًا شـيئًا نهـارًا إلا نـادرًا، وأكثـر صدقتـه ليليـة.

ووصفه العيدروس صاحب «النور السافر» بأنه مجتهد زمانه، والمجدد على رأس المائة التاسعة، وأحق الناس بالقضاء، وقد عُرض عليه فامتنع منه قولاً باتًّا، واشتهرت كراماته ومكاشفاته حتى روتها الألسن ووعتها الأسماع.

وقد ذكر العيدروس بعضًا من كراماته، منها ما وقعت مع الشيخ الصالح عبد الرحمن بن عمر العمودي (ت ٩٦٧هـ)، فلتُنْظر هناك لمن أراد.

وذكر من كراماته حفيده محمد بن أبي السرور البكري في كتابه: «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية».

وقد توفي هذا الإمام العلم في القاهرة عام (٩٥٢هـ) بجوار الإمام الشافعي.

* **مصادر ترجمته:** «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس، (ص ٥٤٨)، و«الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة» لنجم الدين الغزي، (٢/ ١٩٤)، و «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي، (١٠/ ٤١٩)، و«المنح الرحمانية في الدولة العثمانية» لمحمد بن أبي السرور البكري، (في مواضع متعددة من كتابه)، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتورة

ليلى الصباغ؛ عن مركز جمعة الماجد، و«الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المُعِزِّية» لمحمد بن أبي السرور البكري، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية، و«الأعلام» للزركلي، (٧/ ٥٧)، و«خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر» لعمر بن علوي بن أبي بكر الكاف، (ص ٤٧٤).

تصانيف أبي الحسن البكري

في التفسير

تصانيف أبي الحسن البكري في التفسير

لقد كان الإمام أبو الحسن البكري كثير التأليف؛ حتى قال العيدروس: إنَّ تصانيفه لا تُحْصَى.

وذكر تلميذه ابن ظهيرة المكي (ت ٩٢٦هـ) في رسالة له ألفها في حق شيخه البكري بأن مؤلفات الشيخ تزيد عن أربعمائة مؤلَّف، وكان كلام ابن ظهيرة هذا قبل وفاة شيخه بسنين عديدة.

ولا يهمنا هنا سرد أسماء مصنفاته؛ فإنها مذكورة في مصادر ترجمته؛ وإنما الذي يهمنا معرفة تصانيفه في التفسير لنستدل على عُلُوِّ كعبه في هذا العلم، وأنه من المتخصصين فيه.

وقد تبين لنا من البحث أنَّ له ثمانية مصنفات في التفسير ما بين كبير وصغير.. وخصوا اثنين منها بالذكر على النحو التالي:

١- «تسهيل السير والتفسير»؛ أو: «تيسير السبيل»، وفي: «فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم» الصادر عن مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (١/ ١٧٢) ذكروا عنوانه بـ:(تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل)؛ وذكروا أنه حُقِّقَ في

عـدة رسـائل جامعيـة في جامعـة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية بالرياض.

٢- «الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز».

وكل تفاسيره المذكـورة غـير مطبوعـة فيـما نمـى إليـه علمـي؛ غـير: (تسـهيل السـبيل) المذكـور آنفًـا، وهـو غـير مطبـوع كذلـك؛ إنـما محقق في عـدة رسـائل جامعيـة لم أسـتطع الوقوف عليهـا؛ فلـذا اعتمادنـا في تفسـيره للآيـة مـن اسـتثناء أهـل حضرمـوت مـن الـورود في النـار بنـاء عـلى نقـل العيـدروس ومرتـضى الزبيـدي رحمهـما الله.

أقوال المفسرين
في الآية

أقوال المفسرين في الآية

اختلف العلماء في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة على أقوال:

١- المراد بالورود الدخول.. زاد المفسر الشنقيطي في تفسيره: (ولكن يصرف الله أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول).

قال السيوطي في كتابه: «الإكليل في استنباط التنزيل»، (٣/ ٩٤٤): (الجمهور على أنَّ المراد بالورود (الدخول)، وأنَّ الخطاب بها للعَالَم مؤمنهم وكافرهم).

٢- المراد بالورود هو: المرور والجواز على الصراط؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم، وهو قول ابن مسعود، والحسن البصري، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم.

٣- إنَّ الورود المذكور هو حضورها؛ أي الإشراف على النار والقرب منها، قاله عبيد بن عمير.

٤- أنَّ ورود المسلمين: المرور على الجسر. وورود المشركين: دخولها. قاله ابن زيد.

٥- أنَّ حظَّ المؤمنين من ذلك الورود هو حرّ الحمَّى في

الدنيا. وهذا قول مجاهد، ولدينا تفصيل على هذا القول؛ سيأتي لاحقًا.

هذا أعلى ما وقفت عليه من أقوالٍ في تفسير الورود من الآية الكريمة، وكلٌّ له أدلته التفصيلية في ذلك؛ قد ذكرها المفسر الشنقيطي مع الإجابات عليها في كتابه: «أضواء البيان»، (ص ٧٤٧ وما بعدها)، طبعة دار الكتب العلمية الثانية، وفي كتابه الآخر: «دفعُ إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، (ص ١٦٩). وانظر: «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي، (٥/ ٢٥٥)، و«التفسير الصحيح» للدكتور حكمت بشير الياسين، (٣/ ٣٤٦)؛ إضافة إلى تفسيريّ الطبري وابن كثير.

واقتصر السيوطي في كتابه: «الإكليل» على القولين الأولين الراجحين، وهما: (الدخول)، و(المرور على الصراط).

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح، ٣/ ١٦٠-١٦١): «وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك، ولا تنافي بينهما؛ لأنَّ من عبّر بالدخول تجوّز به عن المرور، ووجهه أنَّ المارَّ عليها فوق الصراط في معنى من دخلها؛ لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم، فأعلاهم درجة من يمرُّ كلمع البرق... ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم

مبشّر: إنَّ حفصة قالت للنبي ﷺ لّما قال: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**» أليس الله يقول: ﴿وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُهَا﴾؟ فقال النبي ﷺ: قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

ثم قال ابن حجر: (وفي هذا بيان ضعف بقية الأقوال).

والسيد محمد مرتضى الزبيدي في كتابه: (تاج العروس، ٢/ ٥٣٢) حشد من الآراء من أنَّ الورود ليس مقصوده الدخول بذاته، وأتى بأقوال العرب في ذلك، ونقل عن الزجّاج الإجماع بأنَّ الورود ليس بدخول.

وَسُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- عن تفسير الآية، فأجابت: (الورود في الآية الكريمة: هو المرور على الصراط المنصوب على متن جهنم، فقد دلّت الأحاديث والآثار الكثيرة على أنَّ الصراط ينصب على جهنم ويمر الناس عليه على قدر أعمالهم).

وأجابت في فتوى أخرى: (يبين الله تعالى لعباده أنه لا أحد من الناس -برًّا كان أم فاجرًا- إلا سيمر على الصراط المضروب

على متن جهنم، وإنَّ هذا المرور عَلِمَهُ الله تعالى، وكتبه وأوجبه على نفسه؛ عدلاً منه تعالى، وحكمة وفضلاً منه ورحمة، فكان أمرًا مقضيًّا قضاءً لازمًا لا محيد عنه ولا مفر منه، ثم ينجي الله من عذاب النار من اتقاه أيام الدنيا، ففعل ما أمره الله به من الطاعات، واجتنب مانهاه عنه من المعاصي والسيئات، ويترك الظالمين في جهنم مكدسين جِثيًّا؛ جزاءً وفاقًا بما كفروا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون). انظر: «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء»؛ جمع وترتيب الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويّش، (٤/ ٢٥٨-٢٦٠).

ملحوظة: قد بحثت إن كان هناك من أهل العلم من قام بتأليف جزء مفرد في تفسير هذه الآية؛ فلم أظفر بشيء سواء كان مطبوعًا أو مخطوطًا، والله أعلم.

غير أنَّ تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) ذكر في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه: «طبقات الشافعية الكبرى»، (٢/ ١٥٦- ١٥٧) نقلاً عن الأزهري في كتابه: «تهذيب اللغة» أنَّ أبا عبيد القاسم بن سلام قال في قوله ﷺ: «**لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٣٩)، ومالك في الموطأ (١٦٢).

أنَّ المراد بهذا القسم قوله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُهَا﴾؛ فإذا مرَّ بها، متجاوزًا لها فقد أبر الله قسمه.

ثم ذكر السبكي اعتراض الأزهري بأنه لا يوجد قسم في الآية، وردَّ عليه السبكي بوجود القسم في الآية في كلام طويل له، يُنظر في المصدر لمن أراده.

****

وصف أهل حضرموت بأنهم أهل شدة وضنك في معيشتهم

وصف أهل حضرموت بأنهم أهل شدة وضنك في معيشتهم

كان تبرير أبي الحسن البكري -رحمه الله- لأهل حضرموت عندما استثناهم من الورود في النار، وهو كونهم أهل ضنك وشدة في معيشتهم.. كان تبريرًا منطقيًّا وحقيقيًّا؛ على الأقل في زمنه؛ حيث كان الشيخ من أهل القرن العاشر الهجري، وهو امتداد لقرون سابقة تراكمت من خلالها على أهل حضرموت شدة وضنك في معيشتهم؛ فشهد القرن العاشر الهجري بداية نزوح وهجرات متلاحقة للحضارمة من بلدهم إلى أسقاع المعمورة، وخاصة إلى الحرمين الشريفين طلبًا للرزق والمعيشة الكريمة، وطلبًا للعلم ومجالسة العلماء.

وفي: «تاريخ حضرموت» للسيد المؤرخ صالح الحامد -رحمه الله- (ت ١٩٦٧م)، (٢/ ٦٣٦) عقد فصلاً بعنوان: «الحالة الاجتماعية بحضرموت في هذه المدة من عام ٦٠٠هـ إلى عام ٩٠٠ هـ».. قال فيه: «أما الحالة المعيشية فهي فيما يُعرف حالة تقشف وضنك، وكان التمر هو غاية ما لديهم من موارد الثروة وأهمها؛ لكون تربة حضرموت قابلة لغرس النخيل، ولكونه لا يحتاج إلى السقي الكثير مثلما يحتاج إليه غيره من الأشجار.

فكان الحضرميون في تلك العصور يقضون أيامهم طول السنة في اقتصاد وتقتير حتى إذا حلَّ أوان الرطب تنفسوا الصعداء، وانتعشوا فيدَّخرون عند جذاذه ما يرونه لازمًا للاقتناء لسَنَتِهِم، ويبيعون ما بقي، وعبارة «الجوهر»[1] للخطيب: «وكان أهل حضرموت أهل ضنك في المعاش، وأهل نخل كثيرة؛ فلا يأتي أوان حملها بالرطب إلا وقد اشتدت حاجتهم إليه؛ لأنه ينال من ثمرها القوي والضعيف، والغني والفقير، وأهلها وغير أهلها، والكثير منهم ليس له حيلة ولا حرفة، ولا مكتسب غير ثمرتها، يجمع منه ما جمع فيبيع بعضه ويأخذ بثمنه طعامًا أو كساءً، وما يحتاج إليه ويأكل بعضه تمرًا» أهـ.

أما زراعة الحبوب فهي مع قلة الأمطار، وعدم وجود أنهار، ولا عيون جارية، حول الأراضي الصالحة للزراعة.. غير كافية ولا سادّة لجميع حاجاتهم، وهذا هو السبب لِما كانوا عليه في تلك العهود من الضنك والشدة، ولعل هذا كان من الدوافع لهم فيما بعد إلى الهجرة إلى ما وراء البحار نحو الهند والحبشة، وسواحل إفريقيا وجاوه، والله تعالى أعلم) انتهى كلام الحامد.

---

(١) اسمه: «الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء العراف» لعبد الرحمن بن محمد الخطيب الحضرمي، (ت ٨٥٥هـ)، وقد طُبع.

قلت: قد سجّل التاريخ لمجاعات كثيرة وقعت بحضرموت تجدها في: «تاريخ شنبل»، و«تاريخ حضرموت» للحامد، وغيرهما.

ولعل من أواخر وأشهر المجاعات التي اجتاحت حضرموت كانت في عام (١٩٤٣م/ ١٩٤٤م) أيام الحرب العالمية الثانية، وقد ألّف فيها السيد الفقيه مفتي حضرموت في زمنه عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥هـ) قصيدته التي استهلها بقوله:

عِبَرٌ يلينُ بها الغليظ الجافي * وَيَحِسُّ منها القلبُ وَخْزَ أشافي**(١)

وقد فصّلت في أمر هذه المجاعة في كتابي: «الخمير المفتوت معجم المصنفات الواردة في إدام القوت».

ومما هو معلوم أنَّ المجاعات المتكررة والمرتبطة بشدة وضنك المعيشة ينتج عنها تفشي الأمراض والأوباء كالملاريا والحُمّى وغيرها.

وإذا أردت تفصيلاً ممتعًا في هذا الأمر فعليك بكتاب: «سنوات في اليمن وحضرموت» للطبيبة الألمانية إيفا هيويك، وهي طبيبة عاشت في حضرموت في سنوات تقع بين عامي

(١) الأشافي: الإبر.

(١٩٤٧م) و(١٩٥٧م)؛ حيث يعتبر كتابها تشخيصًا واقعيًّا هامًّا من جهة، ووثائقيًّا من جهة أخرى عن الأمراض، وقلة الغذاء المنتشر بحضرموت في تلك الفترة القريبة من زماننا الحاضر.

وأرى أنه من المناسب نقل كلام السيد علي بن حسين ابن محمد العطاس في كتابه: «تاج الأعراس على مناقب صالح ابن عبد الله العطاس»، (١/ ٧٣٥) في وصفه لمرض الحمى الشهير الخطير الذي عمَّ وطمَّ في جميع جهات حضرموت لمدة ثلاثة أشهر، وكان وقوعه في أواخر سنة (١٣٣٤هـ) بعد سيول كبيرة، وأمطار غزيرة؛ حيث قال: (... وإذا بالحمى الخطيرة قد هجمت على سكان المدن والقُرى والبادية بحضرموت في أيام متقاربة، وهي والله كما شبه بها الشاعر حيث يقول:

وإلْفُ هُمُومٍ مَا تَزَالُ تَعُودُه ... عِيَادًا كَحُمَّى الرِّبْعِ أَوْ هِيَ أَثْقَلُ
إذَا وَرَدَتْ أَصْدَرْتُهَا ثُمَّ إنَّهَا ... تَعُودُ فَتَأْتِي مِنْ تُحَيْتُ وَمِنْ عَلُ[١]

فأول ما يصاب منها الإنسان بحركة في قدميه كدبيب النمل؛ يقارنها دوران الرأس حتى يلتقيا في حدود الرئة، فتشتد

---

(١) البيتان للشنفرى وهما من قصيدته الشهيرة (لامية العرب) التي بدأها بقوله: (أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ ** فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ).

حرارة الباطن على ذلك الإنسان إلى أن يتكون منها زمهرير من البرد يعلو ظاهر البدن يقشعر منه الجلد، وترتعد له الفرائص، فينادي من حوله بأن يضع على جسمه كل ما عندهم من فراش، وربما جلس إنسان أو اثنان فوق ذلك الفراش، والمحموم يهتز من ذلك نحو ساعة، ثم تبرز تلك الحرارة إلى ظاهر البدن فيتضجر المحموم من تغطية جسمه، ويحسُّ بالصداع الشديد في رأسه، والغثيان في باطنه، وعند ذلك تثاوره الاستقاء؛ فيغصُّ بها لخلو جوفه عن الأكل والشرب؛ فيتسبب عن ذلك مداخلة أضلاعه علاوة على ما به، وتأخذه بهذا الدرس يوميًّا في وقتها المعتاد على الأقل شهرين متتابعة؛ حتى يتخطفه من براثينها باقي أجله، أو توصله إلى مقره البرزخي، وربما انقطعت الحمّى من بعض الناس، وأعقبه إسهال البطن وكان السبب الأخير في انقضاء أجله.

ويقدِّر أهل الخبرة من مات في حضرموت جميعها بسبب ذلك الوباء الخُمس من السكان في كل محلة، والذين لم يصابوا بذلك الألم نحو نصف العُشر فقط؛ حتى إنهم لم يشعروا بموت بعض الناس إلا بعد يوم أو يومين؛ لقلة الأصحاء القائمين بفرض الكفاية، وقد تسبب عن هذا قطع المواصلات بين أهالي

حضرموت نحو الستة أشهر، ثم رحم الله العباد بزوال ذلك، فأصبح حكاية لأهل الأمن من مكر الله، وعبرة وموعظة للذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أهـ.

ويذكر الدبلوماسي الروسي الدكتور أوليغ بيريسيبكين في كتابه: «اليمن واليمنيون في ذكريات دبلوماسي روسي»، (ص ٣٢٢) عن وضع حضرموت في عهد الحكم الشيوعي الماركسي في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي المنصرم، فيقول: (... وقد كان يهدر على القوات المسلحة ما نسبته ٤٠ بالمائة من الموازنة العامة للدولة؛ ناهيك بمصاريف وزارة الداخلية وأجهزة الأمن التابعة لها.

أما السكان فكانوا شبه جائعين، وتهدمت المشاريع الخاصة، وتوقفت عملية الإصلاح الزراعي...) إلى آخر ما قاله.

وأخيرًا فمن طريف ما يُذكر في هذا الصدد ما جاء في رحلة السيد أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ) إلى مصر عام (١٣٠٨هـ)؛ حيث زار السيد العطاس شيخ الجامع الأزهر محمد الأنبابي؛ وفي المجلس سأله الأنبابي بعض أسئلة عن حضرموت، منها سؤاله عن معايش حضرموت وأقواتها، فأجاب العطاس: البُر والذرة والتمر واللحم،

وأما باقي الأشياء فتنقل إليها على سبيل التفكه من الخارج. فقال شيخ الأزهر: كأن معيشتها ضنكة؟ فقال العطاس: لا يخفى عليكم أنَّ الله تعالى لمّا دحا الأرض جعل في كل قُطْرٍ كفايته؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾، وأما الرزق المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ فليس في تلك الجهة شيء منه، فضحكوا. انظر: «رحلة السيد أحمد بن حسن العطاس إلى مصر»، جمع محمد بن عوض بافضل، (ص٤٦-٤٧).

كانت تلك بعض الصور التي غطت مساحات زمنية كبيرة ومتتالية عن حضرموت وأهلها؛ اتضح منها شدة ما عانوه من الضنك في معيشتهم بسبب المجاعات والأوباء التي غزتهم ولازمتهم، ونحن إذ ذكرنا النقول السابقة عن مؤرخي الحضارمة وغيرهم؛ إنما ذكرناها كتمهيد لتحليل اتجاه العلامة المفسر أبي الحسن البكري في تفسيره للآية الكريمة بذكره ذلك الاستثناء، وهو موضوع دراستنا هنا.

تخريج قول أبي الحسن البكري على ضوء أقوال المفسرين للآية



تخريج قول أبي الحسن البكري على ضوء أقوال المفسرين للآية

عندما تأملت استثناء أبي الحسن البكري اتضح لي أنه ولابد أنَّ له كلامًا سابقًا يتكلم فيه عن تفسير الآية لم يسعفنا كل من العيدروس والزبيدي في ذكره؛ لكونهما أرادا ذكر الشاهد الذي يدخل في مناقب وفضائل حضرموت وأهلها.

ثم إنَّ كلام أبي الحسن البكري الذي سبق الاستثناء والذي افترضته قد لا يخرج عن أقوال المفسرين التي ذكرناها سلفًا؛ بل قد يكون رجّح قول الإمام المفسر الكبير مجاهد رحمه الله؛ والذي يقول فيه: (إنَّ حظَّ المؤمنين من ذلك الورود هو حرّ الحمّى في الدنيا).

ثم بعد أن تبنى قول مجاهد خصّص منه أهل حضرموت؛ وإلا فلا معنى لهذا الاستثناء إلا بإنزاله على قول مجاهد ومن يؤيده من أهل العلم.

وقول مجاهد أخرجه ابن أبي الدنيا في: «المرض والكفارات»، (ص٢٣)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١١) بإسناد ضعيف، ولفظ ابن أبي الدنيا عن مجاهد أنه قال: الحمّى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ والورود في الدنيا هو الورود في الآخرة.

وقد وردت أحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ تؤيد ما قاله مجاهد.. منها ما رواه ابن أبي الدنيا في: «المرض والكفارات» (ص ٣٣) بإسناد حسن من حديث أبي ريحانة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحمّى كيّر من حرِّ جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار»**.

قلت: قد حسّن الحافظ ابن حجر الحديث من رواية أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، والتي رواها البزار في مسنده. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٨٥).

ولا يسعنا هنا أن نغفل ما كتبه الحافظ الإمام العَلَم ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) حول هذا الحديث، فقد أفرد له جزءًا سمّاه: «البشارة العظمى للمؤمن بأنَّ حظّه من النار الحمّى»، وهو مطبوع متداول.

فقد وقفت له من خلال كتابه ذلك على معنى جميل تجاه قول مجاهد، وأنه لا يتنافى مع القولين الراجحين في المسألة السالف ذكرهما، ويحسن نقل كلامه بحروفه..

قال رحمه الله: «وأما ما روي عن مجاهد أنَّ الحمَّى في الدنيا هو ورود جهنم يوم القيامة، فإن صحَّ عنه فله معنى صحيح، وهو أنَّ ورود النار في الآخرة قد اختلف فيه الصحابة على قولين:

- **أحدهما**: أنه المرور على الصراط؛ كقول ابن مسعود.

- **والثاني**: أنه الدخول فيها، كقول ابن عباس.

فمن قال هو المرور على الصراط؛ فإنه يقول: إنَّ مرور المؤمنين على الصراط بحسب إيمانهم وأعمالهم -كما صحت النصوص النبوية- فمن كَمُلَ إيمانه نجى ولم يتأذَّ بالنار، ولم يسمع حسيسها، ومن نقص إيمانه؛ فإنه قد تخدشه الكلاليب، ويتكردس في النار بحسب ما نقص من إيمانه؛ ثم ينجو.

ومن قال هو دخول النار؛ فإنه يقول: إنَّ المؤمنين الذين كمل إيمانهم لا يحسّون بحرّها بالكلية.

وفي «المسند» عن جابر مرفوعًا: «**لا يبقى أحد إلا دخلها، فأما المؤمنون فتكون عليهم بردًا وسلامًا؛ كما كانت على إبراهيم؛ حتى إنَّ للنار لضجيجًا من بردهم**».

وفي حديث آخر: «**تقول النار للمؤمن: جزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي**».

وقال بعض التابعين: إذا قطع المؤمنون الصراط يقول بعضهم لبعض: ألم يَعِدْنا ربنا أن نرد النار؟ فيقولون: نعم، ولكن وردتموها وهي خامدة.

فعلى كلا القولين: المؤمنون الذين كَمُلَ إيمانهم لا يحسّون بحرّ جهنم، ولا يتأذون به عند الورود عليها؛ فيكون ما أصابهم في الدنيا من فيح جهنم بالحمّى هو حظهم من النار؛ فلا يحصل لهم شعور وإحساس بحرّ النار؛ سوى إحساسهم بحرّ الحمّى في الدنيا.

فهذا هو معنى ما ورد أنَّ الحمّى حظ المؤمن من النار، وأنها حظهم من ورود النار يوم القيامة، والله أعلم».

هذا ما قاله الحافظ ابن رجب رحمه الله، وهو كلام نفيس، جمع به ما بين الأقوال، وهو الأولى ما دام الجمع ممكنًا؛ كما هو معلوم مسطور في كتب أهل العلم.

فإن قيل: قول مجاهد، ومن يقول به؛ إنما هو مختص بالحمّى، فما مناسبة إدخال أصحاب الضنك والشدة في المعيشة ضمن قول المفسر مجاهد؟

قلنا: يأتي المراد بالحمى: (الوباء)، وهو وخم الأرض وفسادها، وفساد مائها وهوائها.. المقتضي للمرض بالحمى؛ فإنَّ قلة اليد والرزق مع ما يجلبانه من الضنك والشدة في المعيشة؛ إذا كان عامًّا في أمة من الأمم فإنه يفضي للمجاعات التي ينتج عنها الأوباء والأمراض التي أقلها الحمّى؛ فمن هذه

الناحية يدخل أصحاب الضنك والشدة في المعيشة في معنى الحمّى المذكورة في الأحاديث النبوية. انظر: «البشارة العظمى لابن رجب (٢/ ٣٧٨، ٣٨٢)» ضمن: «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي»، تحقيق طلعت فؤاد الحلواني.



وماذا بعد؟

وماذا بعد؟

تبين لنا مما سبق أنَّ قول العلامة أبي الحسن البكري في استثناء أهل حضرموت من الورود في النار يكاد أن يقترب إن لم يكن داخلًا إجمالًا تحت قول الإمام المفسر مجاهد، وأن سبب استثنائهم هو أنهم أصحاب ضنك وشدة في المعيشة؛ لأجل المجاعات والأوباء التي أصابتهم على مر القرون الماضية، والتي دللنا عليها؛ مما جعل مرض الحمَّى له حضوره الدائم فيهم.. وهذا اجتهاد مني يقتضيه النظر والتحليل، والعلم عند الله أولًا وآخرًا.

ولكن يبقى هناك تساؤلات ووقفات تدور في الأذهان بعد تقرير ما سبق.. وهي:

لماذا خصَّ المفسر أبو الحسن البكري إقليم حضرموت وأهله وحدهم من عدم الورود في النار؛ دون غيرهم من أهل المعمورة، أو بمعنى آخر ماهو الذي ميزهم عن غيرهم؛ وهو الرجل المصري، الذي لم يزر في حياته حضرموت؛ فضلاً عن أنْ يعيش فيها ولو لفترة زمنية كافية تؤهله لما قاله في حقهم..؟!

ثـم إنَّ اسـتثناءه في حـق أهـل حضرمـوت كان عامًّـا فلـم يُفـرِّق بـين البـار والفاجـر.

كيـف تجـرأ -رحمـه الله- عـلى اسـتثناء شـعب، وإقليـم معـين في معـرض آيـة عامـة؛ مـن غـير دليـل صريـح يعتـد بـه؛ مـع مـا قـد يجلـب عليه مثـل هـذا الاسـتثناء مـن نقـد صريـح وغمـز لاذع..؟!

وقبـل أن أتوجـه إلى التحليـل والجـواب عـما ذكرنـاه آنفًـا؛ أُحيـط وأُذكّـر بـأنَّ العلامـة المفسر أبـا الحسـن البكـري مـن الموصوفـين بالاجتهـاد؛ أي أنـه ممـن اكتملـت لديـه أدوات الاجتهـاد، فـلا يضره حينهـا كونـه قـد أصـاب أو أخطـأ، فهـو مأجـور في كلتـا الحالتـين.

المرتكزات التي اعتمدها البكري في استثنائه لأهل حضرموت من الآية الكريمة

المرتكزات التي اعتمدها البكري

بعد التأمل في المقدمات التي ذكرتها سابقًا؛ والتدقيق في مراحل ترجمة المفسر المجتهد أبي الحسن البكري.. اتضح لي أنه -أي الشيخ البكري- قد ارتكز على ثلاثة مرتكزات في اتجاهه الذي ذهب إليه من استثناء أهل حضرموت من الورود في النار.. وهي:

١- التقاؤه واحتكاكه بالحضارم.

٢- التصوف.

٣- النظر.

وإليكم التفصيل في كل مرتكز منها.

*** المرتكز الأول: التقاؤه واحتكاكه بالحضارم.**

قد مرَّ بنا في ترجمة الشيخ أبي الحسن البكري أنه كان يقيم بمصر عامًا، وبمكة عامًا، وكانت مكة في القرن العاشر الهجري في زمن أبي الحسن البكري قد شهدت هجرات الحضارمة إليها طلبًا للعلم، والرزق، والمجاورة في أقدس البقاع، إضافة إلى زيارات الحضارمة لمكة للحج والعمرة، فكانت فرصة سانحة لالتقاء الشيخ أبي الحسن البكري بالحضرميين، وتتلمذ البعض

منهم على يديه، وقد حدث هذا بالفعل؛ ففي ترجمته من كتاب: «خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر» لعمر بن علوي الكاف، (ص ٤٧٧) أنَّ من تلامذته من السادة الباعلوي: الشيخ أحمد بن علوي باجحدب، والشيخ أبابكر ابن سالم العلوي.

ومرَّ بنا من قبلُ الإشارة إلى لقائه بالشيخ عبد الرحمن بن عمر العمودي (ت ٩٦٧هـ) بمكة، وكذلك التقى بجد العيدروس صاحب: «النور السافر»، وفي: «الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر» للقاضي محمد بن عبد الرحمن باجمال (ت ١٠١٩هـ)، (ص ٦٢) في ترجمة الفقيه عبد الرحمن بن عبد الله باجمال (ت ٩٧٠هـ) أنه صَحِبَ الشيخ أبا الحسن البكري.

لا شك أنه التقى بالكثير من الحضرميين؛ ممن لم تُسطَّر أسماؤهم في المصادر؛ فعَرَفَ حالهم عن كَثَب، وعن معيشتهم، وسبب هجرتهم الملفتة للنظر إلى مكة؛ فالتقى بعلمائهم، وزهادهم، والمتصوفة منهم، وعوامهم.

فأدَّى هذا إلى أن أخذ البكري تصوُّرًا كاملاً عنهم.

وعندما نجعل في حسباننا أنَّ الشيخ أبا الحسن البكري قد لمس، ووقف، وسمع، ورأى بأن الحضارمة في مهجرهم

لم يُعلم عنهم قط غير الأمانة، والصدق، وحب الخير، والتوجه إلى الدين، مع تركهم ما لا يعنيهم؛ أضف إلى ما هم فيه من تقشف في العيش وخشونته، والرضا والقناعة باليسير، وأنَّ حضرموت مسقط رأسهم كان إقليمًا منعزلاً، قليل الماء؛ كثير التصحر، واعتماد أهله في قوتهم على التمر؛ لأجل أن النخل لا يحتاج إلى كثير من الماء في سقيه.

فهذا الذي وقف عليه العلامة أبو الحسن البكري ولمسه مما ذكرناه آنفًا أعطاه تصورًا واضحًا؛ مفاده أنَّ الحضرميين أهل شدة وضنك في معيشتهم؛ ويزيده قناعة ورسوخًا إذا قارن حالهم بحال بلده مصر حاضرة العالم الإسلامي، ومنبع سيادة الحكم الإسلامي في ذلك الوقت.

*** المرتكز الثاني: التصوف.**

لا شك أنَّ التصوف في القرن العاشر الهجري؛ وهو العصر الذي عاش فيه أبو الحسن البكري له حضوره القوي على مستوى العالم الإسلامي حينذاك؛ فقد اكتسحه اكتساحًا بحماية السلاطين والولاة، بحيث لا تجد فقيهًا أو مشتغلاً بعلم الحديث الشريف إلا وهو منخرطٌ بإحدى طرق التصوف، وأقله من لبس خرقة التصوف.

وكانت كل من مصر والشام وحضرموت والغرب الإسلامي من حصون التصوف الكبرى في ذلك العهد؛ وإن وُجِد في مصر والشام معارضة قوية تدعو إلى العودة إلى كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام- على فهم السلف الصالح، والتي مثلتها دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ)، فكان لدعوته مناصرون ومنافحون في تلك البقاع.

أما حضرموت فكانت غارقة في التصوف الممزوج بالتشيع؛ كون حملة لوائه هم السادة الباعلوي، والمنفردون به؛ فلم يكن هناك من يزاحمهم، ولم تكن لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ومؤلفاته ورسائله أي صدى ملموس أو مسموع، وما ذلك إلا لبعد حضرموت الجغرافي عن تلك الأحداث، وتيك الدعوة السلفية المباركة.

إنما نفذ إليهم بعد ذلك بعقود طويلة كتاب: «زاد المعاد في هدي خير العباد» للإمام ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، وهو من أبرز تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فاعتنى به السادة الباعلوي، ومدحوه، وكان بعض أعلامهم يحضره معه في سفره وإقامته، وكل ذلك لأجل ما فيه من شرح سيرة النبي ﷺ وآثاره وسنته؛ مما لا يتعارض معهم في الجملة؛ فأرادوا إبراز ذلك

من خلال الاهتمام به؛ لإقامة التصور أمام العامة والمتشككين بهم أنهم متبعون لا مبتدعون.

غير أنه لو أخذنا مثلاً رسالة المؤرخ المصري تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، والتي بعنوان: «الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة»(١) كمثال لما نحن بصدده؛ لوجدنا عددًا لا بأس به من الصور الاجتماعية التي دلّت على هيمنة الخرافة والغلو فيما يزعمون أنها كرامات؛ حتى تطور الأمر فذكر المقريزي صورًا غريبة في حضرموت تدخل تحت باب السحر والشعوذة في ذلك العهد.

والصور التي ذكرها المقريزي في أخبار وادي حضرموت في زمنه، وهو القرن التاسع الهجري؛ قد أخذها -كما صرح في مقدمة رسالته- من ثقات أهل حضرموت الذين التقى بهم في مكة، وهي صور نصَّ على بعض منها أنها مشهورة مسلَّمَة لديهم من غير نكير.

فنحن إذًا أمام امتدادٍ زمني بصوره المتشابهة التي حدثت كذلك لأبي الحسن البكري؛ غير أنَّ هناك فرقًا جوهريًّا بين

---

(١) يقع في جزء صغير لا يخلو من فوائد على عادة مصنفات المقريزي، وقد طُبع قديماً، ثم قمت بتحقيقه على نسخة خطية، وطبع، دار حضرموت للدراسات والنشر بالمكلا.

الرجلين؛ فالتقي المقريزي ليس من المتصوفة، ولم يشتغل به، وله مصنف في التوحيد على معتقد السلف الصالح؛ مطبوع متداول.

وما ذكره في رسالته: «الطرفة الغريبة» كان من باب الغرائب والعجائب؛ التي ذكرها على حالها بمثل ما تلقاه من أفواه ثقات أهل حضرموت؛ فكان أمينًا في نقله؛ ولذا عنون للصور التي سطرها بـ (الطرفة الغريبة).

ومن خلال التتبع اتضح لي أنَّ التقي المقريزي -رحمه الله- من المغرمين بكل ما هو عجيب وغريب؛ مع الحرص على تسطير ذلك من باب العلم بالشيء، ونشرًا للفوائد بدلاً من حبسها.

حتى إني وضعت فهرسًا للغرائب والعجائب التي ذكرها ضمن تراجم الأعلام في كتابه: «درر العقود الفريدة»، فكان أن تجمّع لديَّ الشيء الكثير من ذلك، يستحق أن يُفرد في جزء.

أما أبو الحسن البكري، فكان بخلاف المقريزي، فالرجل كما ذكرت في أول ترجمته أنه (صوفي)؛ وأنَّ له كرامات ومكاشفات مذكورة بعضها في المصادر التي ترجمت له، وله حزب يسمى بـ (حزب الفتح)، ووصفه العيدروس بأنه عظيم.

وتذكر المصادر عنه أنه في أوائل دخوله في طريق القوم نَظَمَ تائية في علم التوحيد، تقع في نحو خمسة آلاف بيت، ثم غسلها؛ لما شابها من التصريح بإشارات القوم؛ مما سيجلب عليه الإنكار.

وذكروا عنه قصة حصل له من خلالها (جذب)، وذلك بمكة، فخرج هائمًا على وجهه؛ فما أمسكوه إلا بعد جهد جهيد، فأقام أيامًا مستغرقًا، ثم أفاق.

وهو موصوف بأنه: (شيخ الطريقة، وأحفظ من على وجه الأرض بالحقيقة)، ولذا هو مترجم في كتب القوم كـ «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» للمناوي، (٣/ ٣٢٣، طبعة محمد أديب الجادر)، و «جامع كرامات الأولياء» للنبهاني، (١/ ١٨١)، وغيرهما.

ومن المعروف أنَّ أسرة السادة البكرية كانوا شيوخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر وإلى عهد قريب[1].

فعلى ذكر ما سبق يتضح لنا أنَّ هناك أرضية مشتركة بين الصوفي المفسر أبي الحسن البكري، وبين من التقى بهم

(١) انظر: «من رواد الأدب والفكر الإسلامي: محمد توفيق البكري» لماهر حسن فهمي.

من الحضارمة المتصوفة في أغلبيتهم إنْ لم يكن جميعهم.. تلك الأرضية المشتركة هي اتحاد المشرب؛ أعني به (التصوف).

واتحاد المشرب (التصوف) له تأثيره ولا شك في تقرير البكري من استثناء أهل حضرموت من الورود، والله أعلم.

فالسيناريو -إنْ صحَّ التعبير- الذي رسمته في تصوري كالتالي:

يقدُم أبو الحسن البكري كعادته إلى مكة سنة بعد سنة، ويلتقي بأفواج المهاجرين الحضارمة في الحج، أو العمرة، أو خلال السنة؛ فيتعرف على مختلف الأطياف والطبقات منهم، وتقام المحاورات المتبادلة بين الطرفين حول الأحداث والأحوال في كل من مصر وحضرموت؛ فينبهر أبو الحسن البكري من مجاهدات الحضارمة، ومقاماتهم الصوفية العالية؛ التي يؤمن بها ويدعو إليها؛ ويراها متجسدة فيهم خير تجسد، وكلما غاب عنهم وأتى في السنة التالية رآهم في تقدم في سُلّم المجاهدات والمقامات؛ فيزداد تيقنًا باتحاد المشرب الصوفي بينه وبينهم، فتتشابك أواصر الود والمحبة والتقدير فيما بينهم، ويحتفل الحضارمة بالبكري كونه شخصية صوفية إقليمية السمعة في ذلك العصر، فيتتلمذ منهم من تتلمذ على يديه، وعندها يزداد البكري معرفة بهم، وعن بلدهم حضرموت؛ فيخرج بعدة نتائج منها:

- إنَّ وادي حضرموت هو وادٍ مبارك، ووادي العباد والزهاد، ومنبت الأولياء. ولذا اختاره متصوفة حضرموت لملازمة رياضتهم في خلواتهم، وذلك لصفة الانعزال والانزواء التي اتصف بها وادي حضرموت.
- كذلك وادي حضرموت قليل الماء.. قليل الخيرات.. وهو ما يتفق مع مقام الجوع لدى الصوفية؛ فكان مثالاً للسكنى، والخلوة في فلواته للعبادة والتحنث لله تعالى.
- إنَّ خرقة التصوف الحضرمية من أعلى الخرق الصوفية شرفًا ونسبة، لأنها من طريق الصوفي الكبير أبي مدين شعيب التلمساني (ت ٥٩٤هـ)، وكانت عن إشارة منه وقصْد في قصة طويلة مشهورة ليس هنا محل بحثها[1].
- إنَّ حامل لواء التصوف الحضرمي هم العلويون الحضارمة، وهم من هم في شرف نسبهم، وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة لكونهم أشاعرة، وللأسف كان مفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك العهد لمن ينتسب وينخرط في معتقد

(١) للاستزادة انظر: «تاج الأعراس في مناقب صالح بن عبد الله العطاس»، (١/ ١٩٨)، و: «إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت» لابن عبيد الله السقاف، (ص ٨١).

الأشاعرة المتأخرين[1]. وإذا علمنا أنَّ أشراف مكة والمدينة في ذلك الزمن على معتقد الرافضة؛ كان ذلك لصالح الباعلوي الحضرميين؛ حيث كان في نظر البكري أنَّ التقرب إليهم أي للعلويين الحضارمة بالحب والمودة هو عين التقرب إلى الله؛ فكيف وهم من حملة لواء التصوف بحضرموت.

صحيح إن التصوف الحضرمي شارك في نشره وحمل لوائه مع العلويين أطياف أخرى من النسيج الحضرمي كمشايخ آل العمودي، وآل باعباد، وآل باوزير، وآل باجمّال، وغيرهم.. ولكن يبقى للعلويين الحضارمة الدور الأبرز والأكبر في نشره، واستمراره، وتقعيده، والكتابة والتأليف فيه بغزارة، وبث ونشر المناقب والمجاهدات للمتصوفة العلويين، واقتصرت مشاركة الآخرين في الدوران في فلكهم على التمام.

- إنَّ (تريم) مدينة العلم الشهيرة في ذلك الزمن بحضرموت، وإنها موصوفة بأنها (عشّ الأولياء)، وإنه اجتمع فيها (٣٠٠) مفتٍ في زمن واحد؛ إلى غير ذلك من الفضائل

(١) انظر: «الأشاعرة في ميزان أهل السنة» لفيصل قزاز الجاسم، و«موقف ابن تيمية من الأشاعرة» لعبد الرحمن المحمود.

الضخمة التي أُحيطت بها، وإلى زمننا الحاضر؛ بل ذكروا عن الحبيب علوي بن شهاب أنه لم يركب مركوبًا في تريم تأدبًا!! وكذلك الحبيب عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر سالم لم ينتعل في تريم تعظيمًا لها!!

كانت تلك أبرز النتائج -في تصورنا الذي رسمناه- التي خرج بها أبو الحسن البكري عن صوفية حضرموت، والتي أشبعت صدره انشراحًا بها، للتوافق المشربي الصوفي؛ فكان أن أدّى ذلك إلى ترشيح البكري لأطياف الحضارمة بعامة، والمتصوفة منهم بخاصة بأن استثناهم من الورود في النار، وأنهم أهلٌ لذلك في تصوره واجتهاده، والله أعلم.

وكنت قد وقفت بعد كتابتي للأسطر السابقة على كلام للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) عن: «الأمصار ذوات الآثار»؛ حيث ذكر الأقاليم التي لا حديث بها يُروى ولا عُرفت بذلك؛ فعدَّ منها: (حضرموت) وذلك إلى فترة عصره وهو في القرن الثامن الهجري، وقد وافقه الحافظ السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، وهو من أهل القرن التاسع الهجري في كتابه: «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»، (ص ٣٠٠، طبعة فرانز روز نثال)؛ حيث ذكر كلام الذهبي، وسكت عليه.

وهـذا يؤيـد مـا نحـن في صـدده؛ فإقليـم يخلـو مـن أهـل الحديـث ورواتـه؛ وتقـل مدارسـة علـم السـنة؛ فـما الـذي سـيملؤه ويسـيطر عليـه غـير الاتجاهـات الفكريـة البعيـدة عـن أهـل الحديـث والأثـر كالتصـوف والاعتـزال والإباضيـة مثلاً، وقد سـار إقليـم حضرموت عـلى هـذا المنـوال حتـى في القرنـين العـاشر والحـادي عـشر الهجريين؛ كـما ظهـر لي ذلـك بالتتبع، وإنـما حصل في القـرن الثاني عـشر الهجري خدمـة الحديـث النبـوي الشريـف مـن قبـل علـماء اليمـن الأعـلى (الشـمالي) خدمـةً وُصِفـت أنهـا لا مثيـل لهـا عـلى يـد أمثال الشـوكاني، والأمـير الصنعـاني، ومرتـضى الزبيـدي، الذيـن كانـت لهـم محبـة في نـشر السـنة الصحيحـة عـلى طريقـة أهـل الحديـث، وهـو مـا خـلا منه إقليـم حضرمـوت للأسـف الشـديد؛ بـل سـار عـلى هـذا المنـوال إلى عهـد قريـب في القـرن الرابـع عشر الهجـري.

انظـر مثـلاً لمـا قالـه الصـوفي الكبـير السـيد أحمـد بـن حسـن العطـاس (ت ١٣٣٤هـ) حيـث هـو مـن رجـال القـرن الرابـع عـشر الهجري؛ فقـد ذكـر تلميـذه السـيد المؤرخ علـوي بـن طاهـر الحـداد (ت ١٣٨٢هـ)؛ فيـما جمعـه مـن أقـوال شـيخه العطـاس في رحلتـه إلـى دوعـن بحضرمـوت؛ المسـماة: «المـوارد الهنيـة مـن الرحلة الدوعنيـة»، (ص ١٣٩)؛ أنـه تمـت قـراءة في مسـند

الإمام أحمد، وجاء حديث فيه من رواية ابن لهيعة الحضرمي، وأنه -أي علوي بن طاهر الحداد- أخذ في الكلام بذكر أقوال أئمة الحديث في تضعيفهم لابن لهيعة، فقال السيد العطاس الذي كان حاضرًا مجلس القراءة: ما لك حاجة بهذا؟ هل أنت مستدل أم مجتهد؟ هذا مسكوت عنه، ونحن إنما نعرف أمثال هذه الأشياء من الفيض الإلهي!! فنعرف القوي والضعيف، والموضوع والمعلول، وهكذا، وكل ذلك يحصل بصفاء القلب وطهارته، فطهّر قلبك حتى تدرك من هذا الباب، ولا تتحكم بعقلك. أهـ.

قلت: لا أدري بماذا أُعلق على هكذا كلام فيه جرأة وسخافة، وانظر إلى ضيق العطاس من سماع كلام أئمة أهل الحديث المتبعين للسنة والأثر، وأصحاب الفرقة الناجية مما ينبئك أنَّ البدعة لا تستطيع التنفس والحراك عند حضور السنة والأثر.

ولست أدري كذلك أأعجب من مقولة العطاس أم من الحداد الموصوف بأنه محدّث الباعلوي؛ بل والقطر الحضرمي في زمنه، والذي سكت ولم يعلق على اعتراض العطاس له؛ فكيف يُحسب إذن على أهل الحديث؟ إنما يتعلمونه لأجل البركة، وليس للسير في طريق السنة والأثر قولاً وعملاً، فتجد الواحد منهم بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله.

فكلمة العطاس تلك شطبت جهود أئمة الحديث حملة لواء السنة، والمدافعين عنها بصيانتها من أعداء هذا الدين، وقيامهم بالرحلات التي سلخت السنين الطوال من أعمارهم، وغربتهم ومفارقتهم للأهل والأبناء والأحباب والأوطان في طلب الحديث وتدوينه، ومدارسة طرقه، ورواته، وعاليه ونازله، وصحيحه من باطله، لتنقية وتصفية السنة.. كل هذا لا قيمة له عند العطاس ومن وافقه، وكأنه لم يكن، واكتفى بالإلهام، والفيض الإلهي، الذي يأتيهم، والذي حرم منه أئمة أهل السنة والأثر؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ولذا يتضح لك تلك الروايات المبثوثة في كتب القوم، مما لا أصل له، أو مكذوب، فهي في عرفهم صحيحة من الفيض الإلهي.. فهل هذا من صيانة السنة وحفظها أم هدمها؟

*** المرتكز الثالث: النظر.**

بعد ذلك اتجه نظر الشيخ أبي الحسن البكري إلى ذات الإقليم الحضرمي من ناحيتي موقعه الجغرافي، ومقدراته وثرواته، فتبين له التالي:

- عدم وقوع وادي حضرموت على طريق الحجاج.

فقد حضيت كثير من الحواضر العلمية بوقوعها على طريق الحجاج مثل بغداد وما حاذاها، ومدن الشام، والقاهرة، وكثير من مدن المغرب، بخلاف اليمن عمومًا، وحضرموت خصوصًا؛ مما حرم كثيرًا من علماء العالم الإسلامي من معرفة علماء حضرموت، وقد ذهب إلى الحج معظم علماء حضرموت إلا من وقفت دونه العوائق، ومن خلال تلك الرحلات تُرجم لبعضهم، ولكن الكثير منهم كان يذهب متدثرًا بثياب التواضع فلا يُعرف، ولا يلتفتُ إليه إلا من أخبره الناس بعلمه، فلم يكن لعلماء حضرموت موكب أو محمل كما كان لعلماء مصر والشام وقضاتهم، وهذا ما تبين للبكري تمام الانطباق واقعًا بمكة، ومواسم الحج عندما يلتقي بعلماء الحضارمة.

وكل ما سبق كان عن علماء حضرموت، فكيف بمتصوفتهم الذين يؤثرون الخمول والعزلة.

- كون وادي حضرموت منطقة نائية وعرة؛ ذات طبيعة تضاريسية صعبة؛ خاصة في زمن المفسر البكري.

- بُعد الإقليم الحضرمي عن مركز الخلافة، وحواضر العِلْم الأخرى؛ فكان لذلك دور كبير في عدم معرفة الناس لعلمائه، وجهلهم لعظمائه، فكان في أقصى الرقعة الجنوبية من عالم الإسلام،

وكان خضوعه لحكومات الخلفاء، والملوك، والدول المتعاقبة، خضوعًا اسميًّا في أغلب الأزمان والقرون، فلا تجد عمرانًا أو إصلاحًا زراعيًّا، أو اجتماعيًّا فيه من قِبَلِ من أخضعوه لحكمهم. إضافة إلى أنه قد أديرت شئونه بأيد ملتوية، وأفكار ضيقة حينًا من الدهر، فأدت إلى عزلته، وحجبت الكثير من مفاخره في أطواء الظلام، وأخاديد الصمت.

- وقوع الإقليم الحضرمي الذي ينتمي إليه المتصوفة الحضارمة ذوي المذهب السني -إن صح التعبير- على طريقة وعقيدة الأشاعرة بين كمّاشتي الزيدية باليمن، والإباضية بعُمان، وهم من هم في عداوة التصوف والأشاعرة.
- قلة ثروات وخيرات هذا الإقليم بخلاف جيرانه، وقد تكلمنا بطرف من ذلك مما تقدم.

وعلى ذكر ما سبق من المرتكزات أو الأسباب التي اعتمدها المفسر العلامة الصوفي أبو الحسن البكري خَلُصَ إلى نتيجة أنَّ أهل حضرموت مستثنون من الورود في النار لما رأى فيهم معاني الضنك والشدة والعزلة؛ بخلاف حواضر الإسلام الأخرى وسكانها.

فإن قيل لماذا لم يفرّق بين برّهم وفاجرهم؟ فالجواب: إما أن التفريق مفهوم من كلام البكري فلم ينبه عليه لبديهيته، أو قصد الكل من الاستثناء (البار والفاجر) لأجل شدة الضنك والعزلة التي فيهم فوسعتهم جميعًا، ورأى أنَّ في ذلك تعويضًا عادلاً بعدم ورودهم النار.

وتبقى قضية: هل هذا الاستثناء الذي ذكره أبو الحسن البكري سارٍ في كل زمان؟ أي: هل يلزم أن يكون أهل حضرموت في شدة وضنك في حاضره ومستقبله؟ هذا الذي لا ندري جوابه؛ لأنَّ الأحرى بالإجابة عنه هو المفسر أبو الحسن البكري نفسه؛ غير أنه في الإجمال كما هو مشاهد حتى في زماننا الحاضر أنهم -أي أهل حضرموت- وإن تحسنت حالتهم، فهم بالنسبة لغيرهم في شدة وضنك، والله أعلم.

وأقصد بأهل حضرموت القاطنين بها؛ الذين لم يهاجروا عنها إلا لفترة محدودة لطلب علم، أو مجاورة معدودة بالحرمين الشريفين؛ وإلا ففي المهجر الجم الغفير من الأغنياء الحضارمة الذين لا نشك في أنهم غير معنيين بالاستثناء عند أبي الحسن البكري، والله أعلم.

بل حتى أغنياء الحضارمة لم تكن ثروتهم لتنقذ حضرموت وأهلها من براثن الضنك والشدة في معيشتهم؛ مما يصدق

عليهم وصف الضنك والشدة في زماننا الحاضر.

ويعجبني في هذا الصدد الصورة الصادقة التي نقلها الأديب الإسلامي الراحل علي أحمد باكثير (ت ١٩٦٩م) عن حضرموت في زمنه؛ حيث قال: (وكانت الحياة في حضرموت غريبة؛ لم تكن البلاد معدة للحياة.. كثير من أهلها يتركونها للخارج، وبعدها يتاجرون ويكسبون ثم يحيلون أنفسهم على المعاش في حضرموت.. يبنون بها القصور الفخمة لمتعتهم، ولكنهم لا يهتمون بتحسين بلادهم، أو تطوير وسائل الإنتاج البدائية بها، أو طرق الزراعة التي ظلت تحت رحمة السيول؛ لا يهمهم في قصورهم إلا التفنن في صنع الشاي؛ كانت رفاهيتهم مصطنعة مستوردة، وكانت الهجرة بقدر ما زادت من ثروتهم عاملاً في تأخير بلادهم؛ بل إنهم كانوا يجدُون في العمل في حضرموت عيبًا وأي عيب!!) (١).

وتعرض لمثل ذلك العلامة المفتي عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥هـ) في كتابه: «العود الهندي في أماليَّ على

(١) علي أحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة، لمحمد أبو بكر حميد (ص ٢٣).

ديوان الكندي»[1]، فقال: وما زلت في إشكال من حال أغنيائنا؛ إذ تفيض أكفهم فيما لا ينفع، ويضنّون بالتافه اليسير لدى حُسن الموقع؛ حتى انحلَّ الإشكال بما سبق عن الخوارزمي في غير هذا المكان، وجلُّهم لا يبذل إلا رغبة، أو رهبة، أو استصلاحًا، أو إرضاء شهوة، وذلك غير مجزئ حتى في فريضة الزكاة على رأي بعضهم؛ وإن رجّح ابن حجر (الهيتمي) الجواز متى كان المدفوع إليه بصفة الاستحقاق، وما أحسن قول الناظم:

وللنفسِ أخلاقٌ تدلُّ على الفتى أكان سَخَاءً ما أتى أَمْ تَسَاخِيا

(١) (٣/ ٢١١، ٢٢٦).

آية من كتاب الله
وربطها بمقولة استثناء
أبي الحسن البكري

آية من كتاب الله وربطها بمقولة استثناء أبي الحسن البكري

الآية الكريمة هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال العلامة المؤرخ الفقيه محمد بن علي بن عوض باحنَّان المعروف بزاكن (ت ١٣٨٣هـ) في كتابه: (جواهر تاريخ الأحقاف)، (ص ٤٠) عند ذكره لهذه الآية الكريمة: (ففي «سفينة» شيخنا إمام أهل المعارف سيدي أحمد بن حسن العطاس، نقلاً عن الفقيه العلامة الحافظ عبد الرحمن بن علي الديبعي قال: تلا هذه الآية أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عند النبي ﷺ، فقال: «**هم قومك يا أبا موسى؛ أهل اليمن**».

وقال أهل التفسير: ارتد عن الإسلام إحدى عشرة قبيلة إلا أهل اليمن؛ فإنهم ثبتوا كلهم على الإسلام.

واعلم سرّ ما في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إذا كان الحبيب لا يعذب محبوبه؛ بدليل قوله تعالى ردًّا على اليهود حيث قالوا: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ فثبت لهم بالآية الأخرى أنه سبحانه وتعالى لا يعذبهم) اهـ.

قلت -أي المؤرخ باحنان-: ويعضد هذا المعنى ما ذكره في «تاج العروس شرح القاموس» حيث قال نقلاً عن أبي الحسن البكري في «تفسيره» في قوله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلاَّ وَارِدُهَا﴾ قال: يُستثنى من ذلك أهل حضرموت؛ لأنهم أهل ضنك وشدة، وهي تنبت الأولياء كما تنبت البقل، وأهلها أهل رياضة، وفيها نخل كثير، وأغلب قوتهم التمر) إلى آخر ما ذكره المؤرخ باحنَّان من الروايات المرفوعة والموقوفة حول نزول هذه الآية في أهل اليمن.

قلت: المؤرخ باحنَّان ذكر قول أبي الحسن البكري كتأييد لكلام العطاس بأن الله -عز وجل- لا يعذب أهل حضرموت؛ وكان البكري يسعه أن يذكر آية سورة المائدة كدليل لما ذهب إليه في استثناء أهل حضرموت من الورود في النار؛ ولكنه لم يفعل لذهول أو نسيان منه، بدليل تبريره لما ذهب إليه كونهم -أي أهل حضرموت- أهل ضنك وشدة في معيشتهم، والله أعلم.

وأما ما ذكره باحنان عن العطاس فيما نقله عن الديبعي من قول النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري عند تلاوة هذه الآية الكريمة: «**هم قومك يا أبا موسى؛ أهل اليمن**».

فقد أخرجه الطبري في تفسيره، (٨/ ٥٢٢)، والطبراني في الكبير، (١٧/ ٣٧١) من طريق شعبة، عن سماك بن حرب، عن عياض الأشعري بعدة ألفاظ متقاربه؛ ليس فيها عبارة: (أهل اليمن)، وإنما التحديد بقوم أو رهط الصحابي أبو موسى الأشعري، وهم من أهل اليمن كما هو معلوم بديهة.

قال الهيثمي عن رواية الطبراني: (ورجاله رجال الصحيح). انظر «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦)، وسيأتي عن الطبري ما يدل على احتجاجه بهذه الرواية وأخذه بها.

وجاءت روايات أخرى بشكل أشمل بأن الآية في أهل اليمن على العموم؛ وليست حكرًا على رهط أبي موسى الأشعري اليمنيين كذلك.

وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم ١٤١٤) طبعة المحقق محمود الطحان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: «**هم هؤلاء قوم من اليمن، ثم من كندة، ثم من**

السكون، ثم من تجيب». قال الهيثمي في «المجمع»، (٧/ ١٦): (وإسناده حسن). قلت: وقبائل كندة، والسكون، وتجيب قبائل حضرمية، فهذه منقبة واضحة ظاهرة لحضرموت وأهلها.

ومما يجب ذكره هنا أنَّ الإمام الطبري ذكر اختلاف المفسرين في ذكر أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين، وأبدلهم مكان من ارتد منهم على أقوال هي:

* هو أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه.
* هم قوم من أهل اليمن.
* هم قوم رهط أبي موسى الأشعري من أهل اليمن.
* هم أهل اليمن جميعًا.
* هم أنصار رسول الله ﷺ.

ثم ذكر الطبري تحت كل قول بأسانيده الآثار الدالة عليها، والجمع بين بعضها.

ثم قال بالحرف مرجحًا القول الذي ينصره لقوة أدلته: (وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب ما رُوي به الخبرُ عن رسول الله ﷺ أنهم أهلُ اليمن قومُ أبي موسى الأشعري، ولولا

الخبرُ الذي رُوِي في ذلك عن رسول الله ﷺ بالخبر الذي رُوي عنه؛ ما كان القول عندي في ذلك إلا قول من قال: هم أبو بكر وأصحابه. وذلك أنه لم يقاتل قومًا كانوا أظهروا الإسلام على عهد رسول الله ﷺ ثم ارتدوا على أعقابهم؛ غير أبي بكر ومن كان معه ممن قاتل أهل الردة معه بعد رسول الله ﷺ.

ولكنّا تركنا القول في ذلك للخبر الذي رُوي فيه عن رسول الله ﷺ؛ أنْ كان ﷺ مَعْدِنَ البيان عن تأويل ما أنزل الله من وحيه وآي كتابه).

موقف المؤرخين الحضارمة من قول أبي الحسن البكري



موقف المؤرخين الحضارمة من قول أبي الحسن البكري

من خلال استعراضي لمصنفات التاريخ الحضرمي المؤلفة منذ القرن العاشر الهجري إلى وقتنا الحاضر؛ مما استطعت أن أقف عليه منها؛ لم أجد فيها تحت باب فضائل ومناقب حضرموت وأهلها تعرّضها لذكر قول المفسر أبي الحسن البكري؛ غير العيدروس، وباحنان.

ورأينا أنهما ذكرا قول البكري في استثناء أهل حضرموت من الورود في النار في سياق الموافقة والتأييد، وتفخيم شأن حضرموت وأهلها.

أما غيرهما فإنما أحجموا عن ذكر قول أبي الحسن البكري في تواريخهم من باب التورع، أو الهروب من تهمة الادعاء الفخيم الذي ذكره البكري عنهم؛ لأجل أنه قول لا يساعده دليل نقلي صريح، أو تبناه عَلَمٌ من أعلام القرون الثلاثة الأولى الفاضلة.

أما القول بأنهم لم يقفوا على قول البكري فبعيد لدي؛ على الأقل سيقفون عليه من خلال نقل العيدروس له، وكتاب العيدروس: «النور السافر» مشهور معروف متداول بين المؤرخين الحضارمة.

وعلى كل حال فالذي أراه أنه كان عليهم نقل قول المفسر أبي الحسن البكري؛ ولهم بعد نقل كلامه ثلاثة مواقف؛ يسعهم اختيار أي موقف منها.. وهذه المواقف الثلاثة كالتالي:

* الموافقة والتأييد لما قاله أبو الحسن البكري؛ كما فعل العيدروس، والزبيدي، وباحنَّان.
* عدم الموافقة والتأييد، والرد عليه إجمالاً أو تفصيلاً.
* حكاية قوله من غير الموافقة أو المخالفة (أي التوقف).

ونحن نعلم أنَّ كتب الفضائل والمناقب تحوي الغث والسمين، والصحيح والباطل؛ فكان يسعهم ذكر قول أبي الحسن البكري؛ وحيث إنهم يحيلون القول إلى مصدره؛ فقد برأت ذمتهم من تبعته حينها، والله أعلم، وإسناد العلم إليه أسلم.

وفي الختام:

حسبنا فيما ذكرناه في هذه الدراسة التحليلية أنْ وجدنا تخريجًا مناسبًا لقول المفسر المجتهد أبي الحسن البكري.. راجين أن نكون وفقنا في هذا.

غير أنه من الواجب ونحن في خضم هذه الدراسة العميقة ألا ننسى المقصد الأعظم من هذه الآية الكريمة؛ التي فيها

ترهيب كبير يجعلنا في وجل منها؛ فنتأملها، فتكون شاحذة لهممنا للتنافس في تحصيل الأعمال الصالحة، وعتق رقابنا من النار، وطلب مرضاة الله عز وجل قبل كل شيء.

وإذا استعرضنا حال خير جيل وطأت قدمه الأرض؛ ألا وهم صحابة رسول الله ﷺ مع هذه الآية الكريمة؛ لرأينا العجب العجاب، ولعلمنا إنْ كان هناك من يستحق الاستثناء من الورود في النار فهم صحابة رسول الله ﷺ الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل رفعة هذا الدين، وبذلوا الغالي والنفيس في نصرة النبي ﷺ.

وهذه بعض النقول عنهم، وعن غيرهم مع هذه الآية الكريمة تكون مسك الختام في دراستنا هذه:

- أخرج عبد الله بن المبارك في كتاب «الزهد» (ص ١٠٤)، وابن جرير في تفسيره (١٦/ ١١٠)، وأحمد في «الزهد» (١١٠٩)، ووكيع في «الزهد» (٣٢)، وهناد في «الزهد» (١١٠٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٨)، وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: (فيه إرسال)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١٠٦)

بألفاظ، وطرق أنه لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت امرأته فبكت، وجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا. قال: إنه أُنزلت على رسول الله ﷺ آية يُنبئني فيها ربي -عز وجل- أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني.

- وفي لفظ عند «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١٠٧) عن موسى بن عقبة قال: وزعموا -والله أعلم- أنَّ ابن رواحة بكى حين أراد الخروج إلى مؤتة، فبكى -يعني أهله- حين رأوه يبكي، فقال: والله ما بكيت جزعًا من الموت، ولا صبابة بكم، ولكن بكيت من قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ فتيقنت إني واردها، ولم أدر أأنجو منها أم لا؟

قلت: عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، وشاعر مشهور، من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤتة. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني (٤/ ٨٢).

- روى الإمام عبد الله بن المبارك في «الزهد» (ص ٤٩٩)، من طريق مجاهد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: أرأيت قول الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، قال: أما أنا وأنت فسنردها؛ فانظر هل نصدر منها أم لا.

- وروى ابن المبارك كذلك في «الزهد» (ص ١٠٥)، وعنه الطبري في تفسيره (١٦/ ٧٤) عن الحسن البصري قال: قال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيما الضحك؟ قال: فما رُئي ضاحكًا حتى مات.

- وروى أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (٤/ ١٤١)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ١٠٥) من طريق مالك بن مغول عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة أنه أوى إلى فراشه، فقال: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت امرأته: يا أبا ميسرة! إنَّ الله قد أحسن إليك، هداك للإسلام. فقال: أجل، ولكن الله قد بيّن لنا أنّا واردو النار، ولم ينبئنا أنّا صادرون عنها.

- أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «ذم الدنيا» (ص ٦١) عن عمر

بن عبد العزيز؛ أنه كتب إلى أخ له: يا أخي إنك قد قطعت عظيم السفر، وبقي أقله، فاذكر يا أخي المصادر والموارد، فقد أُوحي إلى نبيك محمد ﷺ في القرآن أنك من أهل الورود، ولم يخبرك أنك من أهل الصدور والخروج، وإياك أن تغرك الدنيا؛ فإنَّ الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، أي أخي: إنَّ أجلك قد دنا، فكن وصي نفسك، ولا تجعل الرجال أوصياءك.

هذا ما تيسر، وبه تمت هذه الدراسة المتواضعة.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

١. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، تحقيق محمد أبوبكر باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج بجدة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢. الأشاعرة في ميزان أهل السنة، فيصل قزاز الجاسم، المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة بالكويت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣. أضواء البيان، الشنقيطي، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت.

٤. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ببيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٥. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، السخاوي، طبعة المستشرق فرانز روز نثال.

٦. الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، تحقيق عامر عمر العرابي، دار الأندلس الخضراء بجدة، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

٧. البشارة العظمى للمؤمن بأن حظه من النار الحمّى، ابن رجب الحنبلي، ضمن: «مجموع رسائل الحافظ

ابن رجب الحنبلي»، تحقيق طلعت فؤاد حلواني، دار الفاروق بالقاهرة.

٨. تاريخ حضرموت، صالح الحامد، مكتبة الإرشاد بصنعاء ومكتبة تريم الحديثة بحضرموت، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٩. تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق عمر غرامة العمروي، دار الفكر بدمشق.

١٠. تاج الأعراس على مناقب صالح بن عبد الله العطاس، علي بن حسين العطاس، طبعة منارا قدس بأندونوسيا.

١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، دار الفكر بدمشق.

١٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٣. التفسير الصحيح، حكمت بشير الياسين، دار المآثر بالمدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٤. تفسير الطبري، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر بمصر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٥. جامع كرامات الأولياء، النبهاني، طبعة بيروت.

١٦. جواهر تاريخ الأحقاف، محمد علي عوض باحنان، دار المنهاج بجدة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
١٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبونعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية ببيروت.
١٨. خلاصة الخبر عن بعض أعيان القرنين العاشر والحادي عشر، عمر علوي الكاف، دار المنهاج بجدة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٩. الخمير المفتوت معجم المصنفات الواردة في إدام القوت، طارق محمد العمودي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٢٠. الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، لمحمد بن عبد الرحمن باجمال، تحقيق محمد يسلم عبد النور، تريم للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢١. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي.
٢٢. ذم الدنيا، ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٢٣. رحلة السيد أحمد بن حسن العطاس إلى مصر، جمع محمد بن عوض بافضل، ملحق بـ: ترجمة شيخ الإسلام

أحمد بن حسن العطاس، بقلم المنصب علي بن أحمد ابن حسن العطاس، ط١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٢٤. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي ببيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٥. الزهد، أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية ببيروت.

٢٦. الزهد، ابن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ببيروت.

٢٧. الزهد، وكيع بن الجراح، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الصميعي بالرياض، ط٢، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٨. سنوات في اليمن وحضرموت، الطبيبة الألمانية إيفاهيويك، نسخة إلكترونية بموقع شبكة حضرموت العربية.

٢٩. الشامل في تاريخ حضرموت، علوي بن طاهر الحداد، مصور عن دار تريم للدراسات والنشر.

٣٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير بدمشق، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣١. الصوفية في حضرموت، أمين أحمد السعدي، دار التوحيد للنشر بالرياض، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٢. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي.
٣٣. الطرفة الغريبة في أخبار وادي حضرموت العجيبة، للتقي المقريزي، تحقيق طارق محمد العمودي، مرقوم بالحاسوب.
٣٤. علي أحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هموم القاهرة، محمد أبوبكر حميد.
٣٥. العود الهندي في أماليَّ على ديوان الكندي، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، تحقيق محمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج بجدة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٣٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب أحمد عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة بالرياض.
٣٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة محب الدين الخطيب بالقاهرة.
٣٨. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر ببيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٣٩. الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي.

٤٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤١. المرض والكفارات، ابن أبي الدنيا، تحقيق عبد الوكيل الندوي، الدار السلفية بومباي الهند، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٤٢. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، إشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة ببيروت.
٤٣. المصنف، ابن أبي شيبة، ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٤٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث بالقاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٤٥. من رواد الأدب والفكر الإسلامي محمد توفيق البكري، ماهر حسن فهمي.
٤٦. المنثور من الحكايات والسؤالات، لمحمد بن طاهر المقدسي، تحقيق جمال عزون، دار المنهاج بالرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
٤٧. المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، محمد بن أبي السرور البكري، مركز جمعة الماجد بدبي.

٤٨. المـوارد الهنيـة مـن الرحلـة الدوعنيـة، جمـع علـوي بـن طاهـر الحـداد، ملحـق بـ: ترجمـة شـيخ الإسـلام أحمـد بـن حسـن العطـاس، بقلـم المنصـب عـلي بـن أحمـد بـن حسـن العطـاس، ط١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

٤٩. موقـف ابـن تيميـة مـن الأشـاعرة، عبـد الرحمـن بـن صالـح المحمـود، مكتبـة الرشـد بالريـاض، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٠. النـور السـافر عـن أخبـار القـرن العـاشر، عبـد القـادر بـن شـيخ العيـدروس.

٥١. اليمـن واليمنيـون في ذكريـات دبلومـاسي روسي، أوليـغ بـير يبيسـكين، ترجمـة إسـكندر كفـوري وغـيره، دار ومكتبـة الهـلال ببـيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٣

ترجمة أبي الحسن البكري ٩

أقوال المفسرين في الآية ١٩

وصف أهل حضرموت ٢٧

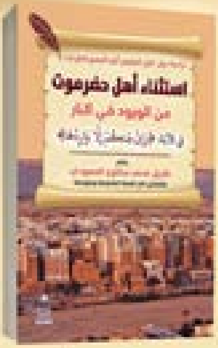
تخريج قول أبي الحسن البكــري ٣٧

وماذا بعد؟ ٥٤

المرتكزات التي اعتمدها البكري ٤٩

آية من كتاب الله ٧١

موقف المؤرخين الحضارمة ٧٩



قد يكون موضوع هذا الكتاب مثيراً للدهشة ولكنك ما إن تقرأ هذه الدراسة حول تحليل ذلك الرأي لأحد المفسرين، إلا وجدت كثيراً من الإقناع المبني على البحث والنظر والاستقصاء خاصة أن صاحب هذا الرأي وهو المفسر العلامة (أبو الحسن البكري) لم يكن حضرميًا ولم يعش في حضرموت، بل لم يزرها في حياته مطلقًا، مما يجعل رأيه جديرًا بالتأمل والدراسة وهذا ما قام به الباحث في هذا الكتاب.

دار الوفاق

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+